المشغل الثقافيّ في المقالات الأدبيّة الحديثة (من خلال نماذج)

Cultural Concern in the Modern Literary Articles

عائشة بلقاسم[1*]

جامعة قرطاج- المعهد العالي للغات بتونس (تونس)

الملخص:

يندرج البحث في المشغل الثقافي في المقالات الأدبيّة الحديثة، ضمن مبحث أكبر وهو العلاقة بين الأدبيّ والثقافيّ، وسبل تعبير الأجناس الأدبيّة الحديثة عن المشاغل الثقافيّة. وتكمن أهميّة هذا البحث في الكشف عن مكانة الأدب بما هو آلية تواصليّة ترمي إلى إرساء مشروع ثقافيّ، وتسليط الضوء على البوادر الأولى لاعتماد المادة الإعلاميّة للتسويق للأدب من خلال نشره بين أعمدة الصحافة.

نهدف إلى إبراز دور الأدب في نشر الثقافة الإصلاحيّة من خلال دراسته أداةً تواصليّةً بين الذات الكاتبة والجمهور المتلقي. ونسلّط الضوء على دور الصحافة المكتوبة، في الثلاثينيات، في جماهيرية الأدب واستقطاب العامّة إلى عالم الكتابة الأدبيّة، وفي تمرير المشروع الثقافيّ الإصلاحيّ لثلّة من أهمّ الأدباء المصريين.

ونعتمد لمعالجة هذه الإشكاليّة منهج النقد الثقافيّ، الذي لا يقف عند الصبغة الجماليّة، التي تجسّد الجانب الرسميّ من الأدب، إذ يسلّط الضوء على الجوانب التي تكتسي صبغة جماهيرية، وتمثّل الهامش بالنسبة للمركز الفنيّ. لنتبيّن مكانة الصحافة في القرن العشرين التي أسهمت في جماهيريّة الأدب ونشر مشاريع الإصلاح الثقافيّ بأسلوب جماليّ.

فما هو الدور الذي لعبته المقالات الأدبيّة في مصر لنشر الثقافة الحديثة؟ ولماذا راهن الكتّاب على الصحافة المكتوبة لبلورة تصوراتهم الحديثة للثقافة. وهل تعدّ كتابة المقالات الأدبيّة في الصحف ضربًا من تبسيط الأدب حدّ الاستسهال والتسليع أم أنّها وسيلة لتسهيل عمليّة التواصل مع الجمهور المتلقي؟

الكلمات المفتاحية: المقالة، الأدب ، الثقافية ، الصحافة المكتوبة، الجمهور.

Abstract: Exploring cultural issues in modern literary articles falls within a broader research scope of literary and cultural relations and how modern literary genres express cultural concerns. The significance of this study lies in revealing the role of literature as a communicative mechanism that aims to establish a cultural project and cast light on the initial steps to customize literature in media tools. With that, we aspire to highlight literature's role in spreading reformative culture by studying it as a communicative tool between the writer and the receiving audience. More specifically, we focus on the role of 1930s written journalism in popularizing literature, attracting the public to the world of literary writing, and promoting the reformative cultural project of some leading Egyptian writers. To explore this, we adopt a cultural criticism methodology that emphasizes the populist aspects of literary works and overlooks the aesthetic aspects of literature. Our main objective is to ascertain the role of twentieth-century journalism in popularizing literature and spreading cultural reform projects aesthetically. What was the role of literary articles in Egypt in spreading modern culture? Why did these writers rely on written journalism to elucidate their modern perceptions of culture? Does writing literature articles in newspapers oversimplify literary works to be trivialized and commoditized, or does it create a means for fostering the communicative process between the writer and the receiving audience?

Keywords: Article , Literature , Cultual , Writtien journalism , Audience.

* عانشة بلقاسم

مقدّمة:

لئن اعتبر الأدباء فكرة التسليع شبهةً ومنقّصةً للأدب وحطًا من قيمته الإبداعيّة، فإنّه لا يخرج عن هذه الفكرة لا بالمعنى الماديّ وإنّما من خلال مبدإ الترويج. وأنبل الأفكار التي يسعى الأدباء إلى الترويج لها هي التي تخدم الصالح العام، حيث لا تكون ممارساتهم الإبداعيّة معلّقة في فضاء نظريّ وإنّما ترنو إلى إصلاح واقعها. ومثّلت فكرة الإصلاح هاجس كوكبة من الأدباء ممن لمع نجمهم بمصر في ثلاثينيات القرن الماضيّ من خلال وقوفهم على أسباب فشل الثقافة العربيّة وسعيهم إلى نشر ثقافة وطنيّة حديثة عبر كتابتهم للمقالات الأدبيّة.

ولقد انتقينا ثلاثة أعلام: طه حسين وأحمد أمين وأحمد حسن الزيّات لمكانة المشغل الثقافيّ في مقالاتهم الأدبيّة، وهو ما يخدم إشكاليّة بحثنا في التعالق بين الأدبيّ والثقافيّ ودور الصحافة المكتوبة في تيسير تلقي الخطاب الأدبيّ الذي يحمل مشروعًا ثقافيًّا. ونرمي في هذه الورقة البحثيّة إلى إبراز دور المقالات في تعميم الثقافة وخصائصها الأجناسيّة التي يسّرت عمليّة التواصل بين الباث صاحب المشروع والمتلقي، لذلك اعتمدنا منهجيّة تحليل الخطاب لتحليل المقالات الصحفيّة خطابًا أدبيًّا تواصليًّا. كما نسعى إلى تطعيمه بمنهج النقد الثقافيّ لإبراز أبعاده العميقة. وقد اعتمدنا هذا التخطيط لمعالجة إشكاليّة بحثنا.

خطّة البحث:

المقدمة:

1. المبحث الأول: المقالات الأدبيّة حاملة للمشروع الثقافيّ:

1.1العنوان:

1.1.1 عناوين المقالة بين الصحفيّ والجماليّ:

2.1.1 عناوين المقالات بين الثقافة والتسليع:

2.1 لغة المقالات الثقافيّة بين الأدبيّ والصحفيّ:

1.2.1 الخصائص التواصليّة للغة المقالات:

2.2.1 الدقة والصرامة في لغة المقالة:

2. المبحث الثاني: المقصد الثقافيّ في المقالات:

1.2 الملامح العامّة للمشروع الثقافيّ للمقالات:

1.1.2 المقالات الأدبيّة ظاهرة ثقافيّة:

2.1.2 سبل نشر الثقافة:

1.3 خصوصيّة هذه التصوّرات النقديّة:
1.2.2 تصوّر أحمد أمين للثقافة:
2.2.2 تصوّر أحمد حسن الزيّات للثقافة:
3.2.2 تصوّر طه حسين للثقافة:
الخاتمة:
قائمة المصادر والمراجع:

1. المبحث الأول: المقالات الأدبيّة حاملة للمشروع الثقافيّ:

1.1. العنوان:

1.1.1 عناوين المقالة بين الصحفيّ والجماليّ:

يعدّ العنوان من أهمّ عناصر النصّ الموازي، ولئن كان محفل العنوان من المسكوت عنه في الثقافة العربيّة. والمهمّ في العنوان سؤال كيفيّة قراءته باعتباره نصًّا قابلًا للتحليل والتأويل، فهو نصّ مكثّف ومختصر ومفعم بالدلالة. لذلك لا نبالغ إذا قلنا: "إنّ العنوان هو مفتاح إجرائيّ في التعامل مع النصّ في بعديه الدلاليّ والرمزيّ" (بنيس، 2001، صفحة 135)، على حدّ عبارة مُحَمَّد بنيس. ويعتبر النقّاد العنوان هاجسًا مركزيًّا فهو أوّل ما يطالعنا من الأثر ليثير اهتمام القارئ وهو ما يترتّب عنه: "هيمنة بعض العناوين الجذابة والمعسولة التي تدغدغ أفق انتظار القارئ" (بنيس، 2001). ويعدّ العنوان من منظور جيرار جينيت: "عقدًا شعريًّا بين الكاتب والكاتبة من جهة وعقدًا قرائيًّا بينه وبين جمهوره وقرّائه من جهة وعقدًا تجاريًّا إشهاريًّا بينه وبين الناشر من جهة أخرى" (بلعيد، 2008، صفحة 71). فهو إذن عقد يجمع الكاتب بأطراف متشعبة وهو ما يفسّر هذا التركيز والاهتمام الذي تكتسبه عتبة العنوان نظرًا إلى الوظيفة التواصليّة التي يضطلع بها.

ويكتسي عنوان المقالة أهميّة بالغة، إذ تعدّ بمثابة نصف العمل: "أوّل العناصر التي تجذب انتباه القرّاء وتحدّد لهم نوعيّة الموضوعات المنشورة" (صالح، 1982، صفحة 181). فالعنوان في المقالات الأدبيّة له أهميّة بالغة، إذ يعمل على إثارة القارئ واستهوائه، لذلك يشترط فيه التركيز والإيجاز والوضوح: "مهما كان نوعه فهو يجب أن يتّصف بالإيجاز والوضوح والسلاسة، كما يجب أن يكون دالًا في صدق وأمانة عن المضمون" (المجدوب، ربيع 2015، صفحة 185). ويحدّد صالح أبو إصبع جملة من الشروط التي يجب أن تتوفّر في عناوين المقالات: "يجب تجنّب تكرار الأفكار وتجنّب تكرار الألفاظ الواردة في العنوان. تجنّب العناوين التي تسبّب اضطرابًا أو غموضًا. ينبغي للعنوان أن ينقل جديدًا وهو

يوحي بأنّ هناك عملًا قد أنجز (...) ينبغي للعنوان أن يكون واضح العبارة تبدو عليه الجدّة، وأن يتجنّب العبارات المهجورة. واختيار الكلمات التي تنقل الفكرة المطلوبة (...) فإنّ كتابة العناوين للمقالات تتسم بالمرونة" (إصبع، 2008، الصفحات 32-33). ولا تخرج عناوين المقالات الثقافيّة التي انتقيناها عن هذه الخصائص اللفظيّة والمعنويّة الواردة في الشاهد السابق. إذ تقوم على الجدّة والبساطة في العبارات إضافة إلى توظيف العبارات الواضحة والدالّة على الموضوع. وإذا ما نظرنا في هذه العناوين (قيمة الثقافة، ثقافة*2، الثقافة العربيّة والحرب*2، أثر الثقافة العربيّة في العلم والعالم*3، أثر الثقافة العربيّة، ثورة في وزارة الثقافة، الثقافة المذبذبة). نلاحظ قيامها على ثنائيّة الثابت والمتحوّل، والعنصر الثابت هو الثقافة التي مثّلت مركز ثقل المقالات أما المتحوّل فهو زاوية دراسة كلّ كاتب للثقافة سواء من خلال تحديد قيمتها أو آثارها أو البحث في صنف من الثقافة مثل ثقافة الحرب.

وللعنوان أهميّة بالغة لا على المستوى الأدبيّ الجماليّ فحسب بل وعلى الصعيد التسويقيّ من جهة ثانيّة. إذ تلعب دورًا مركزيًّا في استقطاب قرّاء الصحف، فعناوين المقالات الصحفيّة تعدّ: "النافذة التي نطلّ منها على الصحف" (خضور، (د.ت)، صفحة 76). وعلى هذه المكانة التسويقيّة للعناوين يؤكّد عبد الستّار جوّاد، إذ يقرّ بأنّ: "استخدام العنوان الجيّد والمعبّر عن المضمون يرفع من حظّ الخبر في المناقشة مع الأخبار الأخرى وحتّى المنافسة بين الأخبار المشابهة التي يتمّ نشرها في عدد من الصحف، فهو الذي يحدّد شخصيّة الصحيفة من حيث الشكل والطابع الخاصّ" (جواد، 1996، صفحة 246).

2.1.1. عناوين المقالات بين الثقافة والتسليع:

يمثّل العنوان عنصر إغراء المتلقي لما له من قدرة تأثيريّة ترويجيّة. والناظر في علاقة القارئ بالمقالات وخاصة عناوينها يلاحظ ما تطرحه من جدل واسع في صفوف نقاد الأدب والصحافة على حدّ سواء. أما أصحاب المذهب الأوّل فيعتبرون العناوين أداة تسويق للمقالة، إذ ترمي إلى الترويج لها ولصاحبها بل وللصحيفة أيضًا. كما اعتبوا بعض القرّاء بل أنّ نسبة كبيرة منهم يكتفون بقراءة العناوين: "إنّ نسبة القرّاء الذين يكتفون بقراءة العنوان كانت وستبقى أكبر من نسبة من يقرؤون المادة، فحتى عندما يشتري القارئ الجريدة المطبوعة ويكون لديه متسع من الوقت لقراءة كلّ موادها يتحاشى قراءة كلّ شيء ويعتمد على العنوان بوصلة لتحديد حاجيته، ومتى اختلت هذه البوصلة، فالعلاقة بين القارئ والصحافة ستتأثّر، وسيتحوّل عنوان غير مهني إلى رصاصة جديدة تنخر جسد الصحافة الذي يعاني كثيرًا من الثقوب" (عزام، 2016). نلاحظ من خلال الشاهد القدرة التسويقيّة للعنوان على جذب القارئ الذي قد لا يتعدّى قراءة العناوين في بعض الأحيان وهو ما يحدّ من قراءة سائر المقالة.

إنّ الاقتصار على تلقّي العناوين لا يعني ضعف المقالة الأدبيّة ولا ينقص من قيمتها الجماليّة أو رسالتها الإصلاحيّة، وإنّما يعزى ذلك إلى طبيعة قرّاء المجلات، إذ لا تقتصر على النخب وإنما تشمل عامة الجماهير. وفي هذا الصدد يقرّ الأستاذ عمران الهاشمي مجدوب بأنّ: "هناك من يعتقد أنّ قرّاء العناوين يقعون خارج المعرفة والثقافة والاطلاع على ما يدور في العالم من أمور سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة وثقافيّة، وهذا الاعتقاد له بعض الحقيقة، إلا أنّ البعض الآخر والذي يشكّل نسبة عالية يؤكّد أنّ قرّاء العناوين عند تصفحهم الصفحات ويلقون نظرة سريعة للعناوين وعزل العناوين التي تقع في دائرة اهتماماتهم لقراءة مضامينها الواحد تلو الآخر وهذا يشير إلى أنّهم في نطاق المعرفة والثقافة" (المجدوب، ربيع 2015، صفحة 90). يمكن من خلال هذا الشاهد التمييز بين مستويين من قرّاء العناوين: المستوى الأوّل والذي أشرنا إليه آنفًا ممن يعدّهم صاحب الشاهد واقعين آخر المعرفة. أمّا المستوى الثاني فهو المتلقي النموذجيّ الذي يقرأ الصحف فينتقي من العناوين ما يتماشى ومواطن اهتمامه. ويقرّ فتحي خليل بالتكامل بين اللحظتين: "إنّ نسبة كبيرة من القراء يكتفون من الصحيفة بقراءة العناوين وبعدها يختارون موضوعاتهم المفضلة ويقرؤون مادتها على مهل" (خليل، 1982، صفحة 9). و لا ضير في أنّ قرّاء العناوين التي ندرسها في هذا البحث يتنزّلون ضمن المستوى الثاني. إذ تندرج هذه المقالات ضمن مجلات ثقافيّة مثل (الرسالة، الهلال، المجلة، المجلّة الجديدة...) والتي يقبل عليها جمهور يرنو إلى تلقي مواضيع ثقافيّة لذلك يستهويه هذا النمط من العناوين التي تبثّر على هذه المباحث. لذلك يمكننا أن نستنتج أنّ عناوين هذه المقالات التي انتخبناها للدرس تقوم على معنى ثابت وهو الثقافة التي مثّلت موضوع قيمة هذه المقالات ومركز ثقل عناوينها التي لعبت دورًا تسويقيًّا لاستقطاب الجمهور إلى متون حملت بين أعمدتها مشاريع الإصلاح الثقافيّ في مصر خلال القرن الماضي.

إنّ هذا التجاذب بين الأدبيّ والصحفيّ والتثقيف والتسليع، لا نستجليه على مستوى عناوين فحسب بل ومن خلال اللغة التي تمثّل أساس متن المقالات.

2.1 لغة المقالات الثقافيّة بين الأدبيّ والصحفيّ:

1.2.1 الخصائص التواصليّة للغة المقالات:

1.1.2.1 وضوح اللّغة وسهولتها:

تتسم لغة المقالات التي انتقيناها بجملة من المقومات التي تتناسب وطبيعة هذا الجنس التفاعليّ: "فحلم الصحافيّ هو أن تكون كتابته مفهومةً أوّلًا، ومقنعةً ثانيًا. فهو لا يكتب لنفسه بل يكتب لغيره. ولذلك يجب التساؤل دائمًا عن أنجع الصيغ والمفردات والحجج التي تمكننا من الوصول إلى القارئ. ومن أجل ذلك تلحّ جميع أدبيات التدريس الإعلاميّ

على الكتابة بأسلوب يتميّز بالبساطة والسهولة؛ الوضوح والواقعيّة: "استعمال اللغة والعبارات السهلة دون الابتذال والإسفاف" (تفاسك، صفحة 4). نستنتج من الشاهد السابق أنّ لغة المقالة يجب أن تتوفّر فيها جملة من الخصائص أهمّها السهولة والوضوح لأنّ الأديب النموذجيّ هو من يضع انتظارات المتلقيّ نصب أعينه عند كتابة مقالته فجمهور المجلات والصحف يختلف عن جمهور الكتب لذلك تمتاز لغة المقالات بالوضوح والبساطة، ويعتبر صلاح أبو إصبع لغة المقالات: "وسيلة الاتصال الأساسيّة (...) ويمكن أن يتحقّق استخدام الكلمات المناسبة في المقالات بمراعاة ما يلي: التخلّص من الكلمات غير الضروريّة التي ترهن الجملة وتشكّل فائضًا لغويًّا لا لزوم له (...) عدم استخدام جملة أو شبه جملة إذا كان بالإمكان استخدام كلمة واحدة" (إصبع، 2008، الصفحات 25-26). نلاحظ من خلال الشاهد ضرورة الاختزال وتفادي التكرار لضمان سلاسة اللغة واختصارها وهو ما نستشفه من خلال هذه المقالات.

فمن تجليات الاختصار وتفادي الإطالة في هذا الجنس الأدبيّ الذي وسم بقصره: أنّ معدّل صفحات هذه المقالات الثقافيّة يتراوح بين الثلاث والأربع صفحات. وهو ما يثبت طبيعة لغتها القائمة على الاقتضاب والبلاغة. وهو ما نستشفّه من خلال الجمل البسيطة الخالية من التعقيد ونأخذ هذا الشاهد على سبيل المثال: "أما عبث هذه الثقافة المذبذبة بالبرامج فعلّته أنّ التعليم عندنا ليست له سياسة مرسومة ولا غاية معيّنة" (الزيّات، 1935، صفحة 123). نلاحظ تفعيل الكاتب لمبدإ الاقتصاد اللغويّ بالاستغناء عن الكلمات غير المفيدة والتركيز على الكلمات التي تخدم غايته.

ولضمان مقروئيّة المقالة وحسن تلقيها وانتشارها بين مختلف الشرائح الاجتماعيّة سواء منها أوساط النخب أو الجمهور العريض، وهو مقصد أصحاب المقالات الثقافيّة، يقترح أحمد أمين لغة وسطًا بين العاميّة والفصحى المعربة التي يعسر فهمها على الكثير من روّاد المجلات: "لا تكون اللغة الفصحى المعربة إلا لغة المثقفين ثقافة عالية من طلبة الجامعة وأشباههم، وإلا الذين يريدون أن يطلعوا على الأدب القديم ويستفيدوا منه وبهذا تكتسب اللغة العاميّة والفصحى معًا، فاللغة الفصحى الآن لا تتغذى كثيرًا من استعمال الكلمات اليوم، وهذا الاستعمال اليوميّ في الشارع وفي البيوت وفي المعاملات من طبيعته أن يكسب اللغة حياة أكثر من حياتها بين الدفاتر، وفي الأوساط الخاصّة، ويكسب اللغة العاميّة رقيًّا يقترب من الفصحى، وهو يمكننا من نشر الثقافة والتعليم لجمهور الناس في سرعة، ويمكننا من تقديم غذاء أدبيّ لقوم لا يزالون محرومين منه إلى اليوم. وهو إجرام كبير كإجرام حبس البريء وتجويع الفقير ولكن هذا الاقتراح لقي معارضة شديدة بل وتجريحًا عنيفًا" (أمين، 2006، صفحة 104). فأمين يدعو إلى توظيف لغة سلسة حيّة قابلة للفهم من قبل الجميع لتفعيل مبدأ التواصل ممّا ييسّر عمليّة نشر المشروع الثقافيّ.

إنّ هذا الحرص على سهولة اللغة ووضوحها لا يعني استسهال هذا الجنس من الكتابة أو ابتذالها فالغاية هي الوضوح والتبليغ. إذ وسمت لغة المقالات ببساطتها لاكتسائها بعدًا تعليميًّا: "كان نتاجهم في فنّ المقال نماذج راقية أعادت للغة رونقها في بيانها، وسحرها في تأثيرها الذي يعمل على جذب الناشئة وغيرهم إلى تشرّب، وتذوّق بيان لغتنا التي قال عنها أفصح من نطق بها الرسول (صلى الله عليه وسلّم): إنّ من البيان لسحرًا" (سلام، 2015، صفحة 87). فكما يبرز هذا الشاهد بوضوح المسعى التعليميّ الذي يقف وراء طبيعة لغة المقالات الثقافيّة.

2.1.2.1 الصبغة التوجيهيّة للغة المقالات:

تقوم العلاقة بين الباث مؤلّف المقالة والمتلقي القارئ على التواصل. وهو ما يجعلنا نقرّ بأنّه جنس تفاعليّ، إذ يشبّه بعض الدارسين هذه العلاقة بعلاقة الأتراب والجلساء، وهو ما يفسّر اقتصاد اللغة ووضوحها: "فالمقال حديث يوشك أن يكون عاديًّا، يعرض الكاتب فيه على قرائه فكرة أو اتجاهًا كما يعرض لموضوع من الموضوعات التي يزجى بها وقت الفراغ مع بعض الجلساء. ويذهب العقّاد إلى أنّ المقالة ينبغي أن تكون مشروع كتاب في موضوعها لمن اتسع وقته للإجمال ولا يتّسع للتفصيل" (شرف، 2000، صفحة 18). فكاتب المقالة يقدّم مشروعًا أو فكرة داعيًا المتلقي إلى مشاركته في البحث فيها وإتمامها.

ومن أبرز الأساليب التي اعتمدها كلّ من أحمد أمين وطه حسين وأحمد حسن الزيّات لشدّ المتلقي وضمان تفاعله وأبرزها الاستفهام، إذ: "توجّه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثمّ فإنّ المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل لا حسب ما يريده الآخرون" (الشهريّ، 2004، صفحة 123). فالاستفهام هو أداة سلطة بيد صاحب المقالة لتوجيه الجمهور المتلقي. والزيّات على سبيل المثال يوجّه الخطاب مباشرة إلى جمهوره من خلال السؤال الإنكاريّ لحمله على الإقرار بعراقة الثقافة العربيّة وأثر التراث العريق للأمّة في تشكيل ثقافتها وهو ما ينعكس على الجمهور العربيّ: "فهل رأى التاريخ مثيلًا لهذه الأمّة التي حكمت الناس ظاهرة ومضمرة، وهل رأى التاريخ ضربًا لهذا الشعب الذي طبع قسمًا كبيرًا من الدنيا بطابعه منذ ثلاثة عشر قرنًا" (الزيات، 1933، صفحة 17). ويعدّ الاستفهام الإنكاريّ نواة مركزيّة بيد الباثّ المؤلف، فلئن اعتمد الزيّات الاستفهام أداةً للحمل على التصديق والإيمان (بأصالة الثقافة العربيّة وتجذّرها) فإنّ طه حسين يتّخذ من السؤال وسيلة لدفع المتلقي إلى مساءلة ثقافته والبحث في أسباب تراجعها مقارنة بباقي الثقافات: "فلم لا نسير نحن سيرة غيرنا من النّاس؟" (حسين، 1930، صفحة 756). أما أمين فجعل من الاستفهام مدخلًا إلى الاستفسار وسبيلًا لمساءلته عن القيمة الفعليّة للثقافة: "ما القيمة الذاتيّة للثقافة؟... فما القيمة الثابتة التي تتصل بنفس المثقف ولا تفارقها في فقر أو غناء، وفي جاه وغير جاه" (أمين أ.، قيمة الثقافة، 1934، صفحة 285). ومن هذا المنطلق يعدّ الاستفهام

وسيلة الباث لتوجيه الرأي العامّ إلى زاوية محدّدة في دراسة الثقافة العربيّة، لذلك يعتبرها عبد الهادي الشهريّ أداة استراتيجيّة توجيهيّة: "يعدّ استعمال الأسئلة الاستفهاميّة من الآليات اللغويّة التوجيهيّة" (الشهريّ، 2004، صفحة 352).

ومن تجليات الاستراتيجيّة التوجيهيّة التي ميّزت لغة هذه المقالات اعتماد ضمير المخاطب، نأخذ مثلًا لتوظيف أحمد أمين المخاطبة المباشرة لجمهوره الذي يجعله مركزًا للعالم: "فكل نظرات الحياة متأثّرة بنظرك إلى نفسك والعكس، بل نظرك إلى الله تعالى متأثّرة بنظرك إلى عالمك المحيط بك" (أمين أ.، قيمة الثقافة، 1934، صفحة 286). فالضمائر هي أداة لتضخيم صورة المتلقي، ولتوجيه الخطاب وهو ما نستشفّه من قول مانغنو: "عند استعمال أنا وأنت (...) فكلّ متكلم يرجع نظام اللغة لفائدته فأنا وأنت ليستا علامات لغويّة لنمط خاص من المبهمات (الضمائر)، إنها قبل كلّ شيء عوامل تحويل اللغة إلى الخطاب" (Mainguneau, 2004, p. 16) ويعدّ توظيف المخاطبة المباشرة من خلال الضمائر ركيزة لغويّة في المقالات التي يسعى أصحابها إلى تقريب المتلقي واستدراجه ممّا يجعل المتلقي منخرطًا في مشروع الباث. وهو ما نستجليه من خطاب طه حسين الذي يسعى إلى مخاطبة المتلقي ثم العمل على صهره في مشروعه الثقافيّ: "ذلك أني ما أظنّ أنّك تنازعني في أننا لا نقوّم الأشياء تقويمًا واحدًا ولا نحكم عليها أحكامًا متقاربة لأنّنا لا نتصوّرها تصوّرًا متقاربًا" (حسين، 1930، صفحة 352).

2.2.1 الدقة والصرامة في لغة المقالة:

لئن امتازت لغة المقالات بالسهولة والوضوح والاختصار وأسلوبها الإنشائيّ الذي يستهوي الجمهور العريض، فإنّ للمقالات الثقافيّة خصوصيّتها، إذ وسمت بالدقّة والصرامة العلميّة، لأنّها تعالج قضايا جادة خلافًا للمقالات الذاتيّة. فهي كما يصفها أمين في مقدمة كتاب فيض الخاطر: "نتيجة لمطالعات هادئة" (أمين، فيض الخاطر، 1938، صفحة 9). ومن تجليات هذه الصرامة العلميّة: الابتعاد عن التأنّق اللفظيّ واعتماد الأسلوب المرسل القائم على مركزيّة المعنى والإيمان بالفكرة والرغبة في إيصالها إلى أكثر عدد ممكن من الجمهور: "مدرسة الأسلوب المرسل: المتحرّر من التأنّق اللفظيّ والمحسنات البديعيّة: يرى هذا الاتجاه توصيلًا للفكرة بعيدًا عن الأسلوب المتأنّق مع جودة التأليف والبعد عن الابتذال (...) ومن أنصار هذا المذهب أحمد حسن الزيات، طه حسين، جبران خليل جبران، المازني، عبّاس محمود العقّاد، السكاكيني وغيرهم. ويندرج تحت هذه المدرسة معظم الكتاب الذين مارسوا الكتابة مع منتصف القرن العشرين إلى يومنا هذا، وقد أسهمت الصحافة والمجلات الأدبيّة في شروع هذا التيّار" (إصبع، 2008، صفحة 55). فالكتاب الذين انتقيناهم من أبرز من مثّلوا هذا الاتجاه في الكتابة الصحفيّة.

ومن مظاهر الجديّة في كتابة المقالة اعتماد أسلوب منطقيّ قوامه المحاججة الذي يعدّ من أبرز الوسائط الخطابيّة للمقالات الصحفيّة: "فحركات الصحيفة تحاول البحث عن توازن في العلاقات بين المجازيّ والحجاجيّ (...) فهي فعل تواصليّ يعتمد حجج السلطة" (Idelson, 2017, pp. 24-26) فالصحيفة تحاول الجمع بين الحجاجيّ والمجازيّ أي العلميّ والأدبيّ. وترتكز لغة المقالة الثقافيّة على حجة السلطة مثل الحجة الدينيّة: "وقد حكوا أنّ عيسى عليه السلام" (أمين أ.، قيمة الثقافة، 1934، صفحة 285). أو حجة أدبيّة مثل الاستدلال بالشعر ولاسيما شعر المتنبي الذي مثّل صاحب سلطة في الموروث الأدبيّ العربيّ: "وتناسب أعضائها لم يكن أدبيًّا مثقفًا وقلنا له كما قال المتنبي" (أمين أ.، قيمة الثقافة، 1934، صفحة 285). والحجة التاريخيّة: "ذكر (بنيامين دأوديه) أنّه رأى في الاسكندريّة عام 1173م عشرين مدرسة (...) فقد ذكر (جيبون) في كتابه الدولة الرومانيّة" (حسن)، 1933، صفحة 9). فرغم تنوّع هذه الحجج فإنّها ذات قوّة تأثير على المخيال الفكريّ للجمهور المتلقي بغية دفعهم إلى تبني تصوراتهم الثقافيّة.

ومن تجليات العلميّة كذلك المسعى التعريفيّ، فطه حسين مثلًا قام بحدّ الرجل المثقّف: "فيقال للرجل الذي يحسن العلم بالشعر فيفرّق بين جيّده ورديئه(...) فالرجل المثقف الآن بهذا المعنى ليس هو من أتقن علمًا بعينه أو فنًّا بعينه" (حسين، ثقافة، 1957، صفحة 4).

نستخلص من جملة خصائص لغة المقالة الثقافيّة، أنّ الغاية منها تيسير عمليّة التواصل مع المتلقي بغية تثقيفه.

2. المبحث الثاني: المقصد الثقافيّ في المقالات:

ممّا لا شكّ فيه أنّ المقالات جنس أدبيّ كسائر الأجناس له غايات جماليّة فنيّة يسعى من خلالها أصحابها إلى إرضاء ذواتهم الإبداعيّة، بيد أنّ ذلك لا ينفي الغاية الثقافيّة لهذا النمط من الكتابة الأدبيّة.

1.2 الملامح العامّة للمشروع الثقافي في المقالات:

يمكن بلورة سمات مشتركة للمشروع الثقافيّ الذي حمله كلّ من طه حسين وأحمد أمين وأحمد حسن الزيّات بين أعمدة مقالاتهم.

1.1.2 المقالات الأدبيّة ظاهرة ثقافيّة:

كما يشير العنوان فإنّ المقالات الأدبيّة مثّلت أهمّ ظاهرة ثقافيّة شهدتها مصر في ثلاثينات القرن الماضي: "في حياة مصر الثقافيّة في الثلاثينات والأربعينات ظاهرة ثقافيّة لم تتكرّر بعد، تلك هي ظاهرة مجلتيّ "الرسالة" و"الثقافة" (...) والحقّ أنّ المجلتين الممتازتين حقًّا، كانتا المنار الأوّل للثقافة العربيّة للأميّة، من الثقة والاطمئنان وسعة الانتشار بين طوائف المثقفين مبلغًا لا تصل إليه مجلّة الآن، مع تهيئ الوسائل للنشر الممتاز طبعًا وتوزيعًا وإغراءً، فإذا قلنا إنّ الأستاذ أحمد أمين كان الباعث الأوّل لهذا النشاط الأدبيّ الثقافيّ فلا نبعد" (المطيعي، 1997، صفحة 14). نستنتج من هذا

الشاهد الثورة الثقافيّة التي تزعّمتها هذه المجلات، فأحمد أمين رئيس تحرير مجلّة الثقافة وطه حسين من أبرز كتابها، كما تزعّم الزيّات مجلة الرسالة.

ويعتبر الكاتب أنّ هؤلاء الكتّاب قادة الثورة الثقافيّة التي تبلورت في مقالاتهم لحملها همّ الثقافة الوطنّية وسبل إصلاحها، وهو المشغل المشترك بينهم.

2.1.2 سبيل نشر الثقافة:

سعى كلّ من أحمد أمين وطه حسين وأحمد حسن الزيّات إلى إصلاح المجتمع متخذين من الثقافة مدخلًا إلى ذلك فهي أساس صلاح الأمم. ورغم بعض التباينات بين مشاريعهم في تفاصيلها التي سنبيّنها في العنصر اللاحق، فإنّهم أجمعوا على ضرورة نشر الثقافة إلى أقصى قدر ممكن من الجماهير. ومن أبرز هذه السبل:

1.2.1.2 التعليم:

لا ريب في أنّ التعليم مثّل مفتاح الإصلاح ونشر الثقافة عند هؤلاء الكتّاب، الذين انتسبوا إلى ميدان التعليم، فطه حسين عميد الأدب العربيّ وهو أستاذ بالجامعة: "عاد إلى مصر ليعمل أستاذًا للتأريخ القديم بالجامعة" (المطيعي، 1997، صفحة 221). كما تولّى أمين تقديم دروسًا في الأدب بمدرسة القضاء لينال عمادة كليّة الآداب: "وفي إبريل 1939 اختير عميدًا لكليّة الآداب بعد أن حصل على أعلى الأصوات" (المطيعي، 1997، صفحة 14). وكذلك الزيّات كان من رجال التعليم: "وكان قد حصل على ليسانس الآداب 1912 أثناء عمله بالتدريس في مدرسة الفرير بالخرنفس" (المطيعي، 1997، صفحة 24). ولا شكّ أنّ لهذه الخلفيّة التعليميّة أثر بالغ على مقالاتهم التي دعوا فيها إلى ضرورة اعتماد التعليم خطوة أولى لإصلاح الثقافة. لذلك يرجع طه حسين ضعفها إلى فشل النظم التعليميّة: "ومصدر ذلك أنّ المصريّ لا يتعلّم في مدارسه ومعاهده وإنّما يحفظ ليؤدي الامتحان، ثمّ ينسى ما حفظ (...) وهذا النوع من التعليم لا يمكن أن يلائم وطنًا طموحًا ولا شعبًا عريقًا في المجد" (حسين، ثقافة، 1930، صفحة 7). كما يرجع الزيات تراجع الثقافة العربيّة إلى البرامج التعليميّة: "إنّ برامج التعليم الأدبيّة- وهي أداة الثقافة والقوميّة- لا نرى فيها أثرًا للشخصيّة المصريّة" (الزيّات، 1935، صفحة 122)، لذلك اعتبروا إصلاح النظم التعليميّة هي الخطوة الأولى لإرساء ثقافة وطنيّة.

ورغم مكانة التعليم في نشر الثقافة، فإنّه لا يمثّل الأداة الوحيدة للثقافة وهو ما يؤمن به أمين: "خطأ وقعت فيه وهو فهمها أن نشر الثقافة لا يكون إلا بواسطة تعليم القراءة والكتابة، مع أنّه يمكن نشر الثقافة بواسطة السمع" (أمين، حياتي، 2006، صفحة 183)، فأمين يفضّل أساليب التواصل الأفقيّة مع متلقي مشروعه الثقافيّ وهي من ميزات

المقالات: "نريد من كاتب المقالة الأدبيّة أن يكون لقارئه محدّثًا لا معلّمًا. حيث يجد القارئ نفسه إلى جانب صديق يسامر لا أمام معلّم يعنّفه" (محمود، 2019، صفحة 10).

2.2.1.2 النشر المزدوج:

لضمان مقروئيّة هذه المقالات وتلقيها عند الجمهور العريض من قرّاء الصحف والمجلات من جهة ومن النخبة من جهة ثانية، عمد كلّ من أحمد أمين وطه حسين وأحمد حسن الزيّات إلى جمع مقالاتهم الثقافيّة في كتب: "وقد أثمر ذلك أن حرص الكتاب على أن تظلّ مقالاتهم التي نشروها في الصحف والمجلات بين أيدي القرّاء من الأجيال التالية، فجمعوها وأصدروها في كتب كان لها دور بارز في النهوض بلغتنا العربيّة وفنونها الأدبيّة، وحياتنا الفكريّة، منها "النظرات والعبرات" للمنفلوطي، "وحي القلم" للرافعي، "حديث الأربعاء" طه حسين، "الفصول" للعقاد، "في المرآة" للبشري، "فيض الخاطر" لأحمد أمين" (سلام، 2015، صفحة 86). ففي إعادة النشر تأكيد لأهميّة هذه المشاريع الثقافيّة وجمع بين رؤية الأديب والصحفيّ: "أمثال العقاد وطه حسين والمازني وهيكل وأحمد أمين والزيّات وتوفيق الحكيم. ومن الذين جمعوا بين الكتابة الأدبيّة والنشر في الصحف، وممن شكّلت مقالاتهم في الصحف مادة ما تمّ إنتاجه من الكتب" (عرجة، 2000، صفحة 62).

ورغم اشتراك أمين وحسين والزيّات في فكرة مشروع إصلاح الثقافة المصريّة سواء من خلال التعليم أو الصحافة أو الكتب فإنّ ذلك لا ينفي التباين بينهم في بعض النقاد.

2.2 خصوصيّة هذه التصوّرات النقديّة:

1.2.2 تصوّر أحمد أمين للثقافة:

يعدّ أحمد أمين صاحب مشروع ثقافيّ متكامل، فلم يقتصر على كتابة مقالة في هذا الموضوع، بل أسّس مجلة برمتها في هذا المضمار: "كما أسست مجلة اسمها الثقافة تنشر فيها الآراء على مبادئها واستمرت نحو أربعة عشر عامًا" (أمين، حياتي، 2006، صفحة 104). وأجمع دارسي أحمد أمين على مكانته في الفكر والثقافة المصريّة الحديثة: "تعدّ من الشخصيات المهمّة في القرن العشرين المتعلّقة بالثقافة العربيّة، فهو المفكر صاحب المؤلفات العديدة المتنوعة في الثقافة، والأدب" (المطر و برقان، 2020، صفحة 486). نلاحظ المكانة التي أوْلاها أحمد أمين للثقافة التي مثّلت محورًا مهمًّا في كتاباته.

1.1.2.2 حدّ الثقافة عند أمين:

يقوم هذا مفهوم على الشمول إذ تمثّل عنده المعرفة: "يقصد أمين بالبيئة المعرفيّة هي ثقافة الأمّة المشتملة على الحياة العلميّة، والدينيّة، والسياسيّة والفنيّة، وأشار إلى أهميّة هذه العناصر جميعًا عند ذكر ما يتعلّق بهذه البيئة" (المطر و

برقان، 2020، صفحة 490). فالثقافة عند أحمد أمين تكتسي بعدًا شموليًّا يجمع بين الأدبيّ والعلميّ: "وهذا مجال الثقافة في أيّة ناحية من النواحي الأدبيّة والعلميّة يؤثر أثرًا كبيرًا في النواحي الأخرى حتى نظنّ أن ليست له صلة به" (أمين أ.، قيمة الثقافة، 1934، صفحة 286). والعلاقة بين مختلف هذه النواحي قائمة على التفاعل.

2.1.2.2. قيمة الثقافة عند أحمد أمين

يقرّ أمين بتعدّد قيم الثقافة، القيمة الماليّة والتي تمثّلها المراتب الأكاديميّة والقيمة الاجتماعيّة التي ترتبط بالمكانة الاجتماعيّة للمثقّف، ولكنّه يركّز على القيمة الفكريّة العقليّة والخلقيّة من خلال تهذيب النظر ورقيّه وعمقه: "للثقافة قيمة ماليّة مقرّرة، فالليسانس والدكتوراه والدبلوم وما إلى ذلك من الأسماء، هي عنوان الثقافة (...) والثقافة كذلك قيمة اجتماعيّة، فالثقافة ترفع من كان من طبقة وضعية، إلى أن يكون أحيانًا مساويًّا لمن كان من طبقة رفيعة (...) أهمّ قيمة –في نظري– لثقافة المثقف هي كيفيّة نظره إلى هذا العالم" (أمين أ.، قيمة الثقافة، 1934، صفحة 286). فالثقافة تنتشل الإنسان من النظرة الوضيعة إلى السمو.

3.1.2.2 روافد الثقافة:

يؤمن أمين بضرورة انفتاح الثقافة العربيّة مع مراعاة خصوصيّتها الثقافيّة: "'يعتقد' أنّ الثقافة العربيّة الإسلاميّة تأثّرت بالثقافات الأخرى المشار إليها سابقًا، لكن لم تخضع لمقولة الغزو الثقافي فقد هضمت هذه الثقافات، وقد اختلفت التأثيرات حسب المكان الثقافيّ" (أمين، فجر الإسلام: موسوعة أحمد أمين الإسلاميّة ، 1969، صفحة 219). فأمين يقرّ بتأثّر الثقافة العربيّة بالثقافات الأخرى لكن دون خضوعها لغزو ثقافيّ. وهو ما يلخّص نظرته للثقافة القائمة على التوفيق والوسطيّة بين التأصيل والانفتاح.

2.2.2 تصوّر أحمد حسن الزيّات للثقافة:

يعتبر أحمد حسن الزيّات من أهمّ المدافعين عن الثقافة المصريّة في ثلاثينات القرن الماضي. فهو صاحب مجلة الرسالة التي مثّلت عاملًا مهمًّا في نشر الثقافة: "وكانت تعدّ أحد أهمّ المصادر الثقافيّة لأغلب الكتّاب والشعراء الذين بدؤوا حياتهم في ثلاثينيات القرن الماضي" (أمين س.، 2020).

1.2.2.2 حدّ الثقافة عند الزيّات:

يمتاز تعريف الزيّات بالشمول: "سدّ العالي للثقافة يجمع وراءه العلم والأدب والفنّ والمعرفة ليوزعها على العقول والقلوب والأرواح" (الزيات، 1933، صفحة 1). نلاحظ أنّ حدّ الزيّات للأدب لا يختلف كثيرًا عن حدّ أمين فيجمع تحت راية الثقافة العلم والأدب والفنّ والمعرفة أي كلّ ما هو فكريّ معرفيّ.

2.2.2.2 روافد الثقافة عند الزيّات:

يرى الزيّات أنّ التراث هو المصدر الأساسيّ للثقافة، فهو مدافع شرس عن الثقافة العربيّة. ويبرز ذلك من خلال كتاباته ومواقفه واتجاهاته الفكريّة: "فإنّ الرافعي وعبد الوهاب عزام والزيّات أبرز من يمثّل اتجاه الأصالة الصامد" (سلام، 2015، صفحة 86). ومثّلت مجلة الرسالة التي ترأسها صرحًا للدفاع عن الثقافة العربيّة، إذ: "أبرزت ثقافته العربيّة وتعمّقه في فهم تراثها ولغتها ودفاعه عن بلاغتها" (أمين س.، 2020). فيمثّل إحياء الثقافة العربيّة القديمة المشغل الرئيسيّ لهذه المجلّة: "صدر العدد الأوّل من مجلة الرسالة في 15 يناير 1933، (...) أصدرها ورأس تحريرها أحمد حسن الزيات وكانت نصف شهريّة ثم أسبوعيّة. وكان شعرها: "ربط القديم بالحديث، ووصل الشرق بالغرب" (المطيعي، 1997، صفحة 13).

وفي إطار دفاعه عن الثقافة العربيّة ينتقد وبشدّة ما ذهب إليه البعض من اندفاع إلى الثقافة الوافدة: "التعاليم المريضة في الأذهان من أن اليونان والرومان هم مصادر الثقافة العالميّة. وأنّ العرب أعجز بفطرتهم عن العلم. وأبعد بطبيعتهم عن التمدّن. يجعل هذه القضيّة على إطلاقها سخيفة" (الزيات، أثر الثقافة العربيّة في العلم والعالم، 1933). نستنتج من خلال هذا الشاهد انتقاد الزيّات التصوّرات القائمة على انتقاص واحتقار الثقافة العربيّة لذلك سعى إلى بيان علميّتها وأثرها على إشعاعها على باقي الثقافات.

3.2.2.2 أسباب ضعف الثقافة العربيّة:

يرجع الزيّات ضعف الثقافة العربيّة إلى عاملين أساسيين، أولهما التعليم: "إنّ برامج التعليم الأدبيّة –وهي أداة الثقافة القوميّة– لا نرى فيها أثرًا للشخصيّة المصريّة: فواضع برامج التاريخ هو بعض الجوف ممن تعلموا تاريخ أوروبا" (الزيّات، 1935، صفحة 122). فإسقاط المناهج الغربيّة على الطالب المصريّ هي سبب نشوء ثقافة مذبذبة حسب الزيّات. أما السبب الثاني فهو الأدب: "أدبنا الحديث لا يزال ناقصًا في نوعه وبيانه: لأنّه أنكر قديمه وجهل جديد الناس، فلم يغذه ماض ولم يتمّه حاضر. فظلّ خديج الخلق لا هو حيّ ولا هو ميّت" (الزيّات، ثورة في وزارة الثقافة، 1963، صفحة 2). فالزيّات يقرّ بنقص الأدب العربيّ لأنّه ظلّ حبيس لحظة الانبهار بالغرب وهو ما ولّد ثقافة لم تكتمل بعد.

3.2.2 تصوّر طه حسين للثقافة:

مثّل فكر طه حسين نقطة فارقة في الثقافة المصريّة الحديثة. فهو صاحب توجّه شامل بلوره من خلال كتاباته ولاسيما مؤلّفه مستقبل الثقافة في مصر: "حاول بكتابه الصغير في حجمه المدوي بأثره أن يؤسّس لمستقبل الثقافة المصريّة في ظروف سياسيّة جديدة" (السناوي، 2021). فللثقافة قيمة عليا عند طه حسين: "أما أنا فقد أكون مسرفًا في

المحافظة ولكن أشهد أني مازلت مؤمنًا بأنّ الثقافة هي القوة العليا في الأرض، وبأنّ سلطان الثقافة وسلطان الفنّ لا يزالان ويظلان فوق كل سلطان" (حسين، من لغو الصيف إلى جدّ الشتاء، 1978، صفحة 129). فالثقافة عند طه حسين تتنزّل في المرتبة الأولى في سلّم القيم عنده.

1.3.2.2 حدّ الثقافة عند طه حسين:

يقرّ طه حسين بأنّ كلمة الثقافة من الكلمات التي أنهكت استعمالا حدّ الابتذال: "ذلك لأنّ هذه الكلمات- الثقافة والأدب والفنّ قد ابتذلت في الاستعمال العام، وكثر ترديدها (...) وهو بالطبع مثقف لأنّ الأدب والفنّ بطبعهما ثقافة" (حسين، ثقافة، 1930، صفحة 3). ورغم إقراره بكثرة اعتماد كلمة الثقافة والتي يكسبها بعدًا شموليًّا يتضمّن الأدب والفنّ، فإنّه في المقابل يبلور تصوّره لهذا المفهوم بعيدًا عن المعنى المتداول. فالثقافة: "ليست علمًا فحسب، وليست فهمًا وحفظًا فحسب، وإنّما هي إلى جانب ذلك شعور وذوق وملاءمة بين المعرفة وبين الطابع" (حسين، ثقافة، 1930، صفحة 8). نلاحظ توسّع مفهوم الثقافة مع طه حسين ليشمل المعرفة بشقيها الفنيّ والعلميّ، ولكنّ السمة المميزة لحدّ طه حسين أنّه سلّط الضوء على الجانب الذوقيّ والنفسيّ. ويؤكّد طه حسين هذه الشموليّة التي وسمت الثقافة في مقالاته التي عنيت بهذا الشأن: " فالثقافة العربيّة ليست مقصورة على الأدب ولا فنّ، ولكنّها تشمل الأدب والفنّ تشمل العلم والفلسفة وتشمل هذه الأشياء كلّها" (حسين، الثقافة العربيّة والحرب1 ، 1940، صفحة 8).

2.3.2.2 روافد الثقافة عند طه حسين:

خلافًا للزيّات فإنّ طه حسين كان من أبرز الدعاة إلى الانفتاح الثقافيّ على الغرب لاسيما وأنّه ممن تأثّر بهذه الثقافة من خلال مطالعاته ومعايشته للمجتمعات الأوروبيّة: "الذي يعد رمزًا للاستنارة والروح النقدية، غير أن التوجهات بدت مختلفة بشأن دوائر الحركة، حيث تبنت «يوليو» التوجه شرقا إلى العالم العربيّ، فيما كانت نظرة العميد التوجّه غربًا عبر المتوسط إلى القارة الأوروبية. كان «طه حسين» ثوريا في تفكيره الثقافيّ والعقلانيّ، لكن لم يُعهد عنه ميل إلى تعديلات جذرية في بنية العلاقات الاجتماعيّة" (السناوي، 2021). فطه حسين مثّل رمزًا للانفتاح والثوريّة التي شهدتها الثقافة المصريّة الحديثة. ويعتبر حسين الانفتاح ضرورة تستدعيها طبيعة البشر: "ومن هنا ورث العرب ثقافة اليونان، وورث الأوروبيون ثقافة العرب، ثمّ عرفوا حقائق الثقافة اليونانيّة أكثر ممّا عرفها العرب، (...) وأكبر الظنّ أنّ أممًا أخرى ليست عظيمة الحظّ من الثقافة والعلم ستأخذ عن الأوروبيين ثقافتهم وعملهم (...) ومعنى ذلك أنّ الثقافة والعلم ليسا مقصورين على أمة من الأمم" (حسين، الثقافة العربيّة والحرب1 ، 1940، صفحة 5). فالانفتاح والتلاقح الثقافيّ حقيقة تاريخيّة فللإنسان استعداد مسبق للانفتاح. لذلك فقد مثّل طه حسين تيار التثاقف مع الغرب: "إذا كان هيكل وطه حسين والعقاد أبرز من يمثّل التيّار المندفع نحو الغرب ثمّ التحوّل إلى الاعتدال" (سلام، 2015، صفحة 85). ورغم مكانة

التلاقح مع الثقافات الأخرى عنده، فإنّه لا ينكر دور التراث في بناء الثقافة العربيّة: "فالثقافة العربيّة كلمة جامعة تشمل كلّ ما تجد بالأجناس كلّها وباللغات كلّها وينسب إلى هذه الأجناس والأوطان واللغات ولكنه على ذلك يظلّ مستقلًا عنها مسيطرًا عليها دون أن يتأثّر بأمزجتها وبيئاتها إلا قليلًا" (حسين، ثقافة، 1930، صفحة 8). فاحتواء الثقافة العربيّة على ترسبات الثقافات الأخرى لا يعني تفسخها من هويّتها بل هو مكمن ثرائه. مع الإلماع فإنّ التراث عند حسين لا يقتصر على الثقافة العربيّة أو الإسلاميّة، إذ يعيدها إلى أصولها السحيقة منذ عهد الفراعنة: "إنّ من أصول الثقافة إحياء التراث القديم للأمة فمعنى ذلك للقياس بمصر أن يكون أمامه تراث مصر الفروعونيّة" (حسين، ثقافة، 1930، صفحة 8). ورغم اللغط الذي دار حول الهويّة الثقافيّة عند أمين أهي غربيّة أم وسطيّة، فإنّه قد أُجمع حول مكانة مشروعه الثقافيّ الذي راهن على التعليم وتعميمه باعتباره أداة تثقيف الملكات البشريّة وتأطيرها بما يخدم مصلحة الوطن في تلك الحقبة: "التعليم يجب أن يوجّه إلى تكوين الملكات الإنسانيّة التي تتيح للفرد أن يكون مستعدًا" (حسين، ثقافة، 1930، صفحة 7).

رغم التباينات بين التوجهات الثقافيّة للزيّات الذي حاول تأصيل الثقافة العربيّة وطه حسين المتأثّر بالثقافة الأوروبيّة وأحمد أمين الذي سعى إلى التوفيق بين الأصالة والحداثة، فإنّهم التفوا حول مشروع واحد وهو محاولة إصلاح الشرخ الذي أصاب الثقافة العربيّة من كتاباتهم الأدبيّة.

الخاتمة:

يعدّ أحمد أمين وطه حسين وأحمد حسن الزيّات على اختلاف تصوّراتهم للمشروع الثقافيّ الفكريّ العربيّ الحديث، أبرز من مثّل الجيل الثاني من المصلحين في مصر. إذ سعوا إلى تدارك هفوات سابقيهم وذلك بإخراج الخطاب الإصلاحيّ من النخبويّة إلى الجماهريّة، فلم يجدوا خيرًا من لغة الأدب خطابًا مرنًا مبطّنًا بالرسائل الإصلاحيّة بعيدًا عن جفاف لغة الوعّاظ. ولم يجدوا أفضل من المقالة وسيلةً لمخاطبة جميع القرّاء على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم الفكريّة وطبقاتهم ومشاربهم الفكريّة وطبقاتهم الاجتماعيّة، بل هي أداة لتعزيز المشروع الثقافي فهي متجدّدة متكرّرة ودوريّة. ولعلّ ذلك سبب اعتراض البعض على أدبيّتها باعتبارها متاحة للجماهير العريضة. وربما كان ذلك دافعًا لهؤلاء الأدباء أنفسهم إلى جمع مقالاتهم في كتب ضخمة حفاظًا منهم على منجزهم الأدبيّ واعتقادًا منهم بقدسيّة الكتب على الصحف والمجلات. وهو التصوّر الذي نقضته وسائل التواصل الحديثة.

مراجع البحث:

1. أحمد أمين. (1938). *فيض الخاطر* (المجلد الجزء الأوّل). (ط1، المحرر) القاهرة: مكتبة النهضة.
2. أحمد أمين. (2006). *حياتي*. سوسة، تونس : دار المعرف للطباعة والنشر.
3. أحمد أمين. (1969). *فجر الإسلام: موسوعة أحمد أمين الإسلاميّة* . (ط1، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربيّ.
4. أحمد أمين. (1934). قيمة الثقافة. *الرسالة* (العدد 33)، 285.
5. أحمد تفاسك. (بلا تاريخ). *دروس مبسطة في الصحافة المكتوبة*. تم الاسترداد من http://ahwaziculture.wordpress.
6. أحمد حسن الزيات. (1933). أثر الثقافة العربيّة. *الرسالة* (العدد8)، 17.
7. أحمد حسن الزيات. (1933). أثر الثقافة العربيّة في العلم والعالم. *الرسالة* (العدد 1)، ص7.
8. أحمد حسن الزيّات. (1935). الثقافة المذبذبة. *الرسالة* (العدد 82)، 123.
9. أحمد حسن الزيّات. (1963). ثورة في وزارة الثقافة. *الرسالة* (العدد 1027)، 2.
10. أديب خضور. ((د.ت)). *الخبر الصحفيّ*. دمشق، سوريا: مطبعة دار البعث.
11. إسماعيل عزام. (29 11, 2016). *هندسة العنوان في البناء الصحفيّ*. (معهد الجزيرة للإعلام) تم الاسترداد من https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/579.
12. أشرف صالح. (1982). *الطباعة وتيبوغرافيّة الصحف*. القاهرة، مصر: العربيّ للنشر والتوزيع.
13. الزيات (أحمد حسن). (1933). أثر الثقافة العربيّة في العلم والعالم2. *الرسالة* (العدد 3)، 9.
14. تيسير أبو عرجة. (2000). *دراسات في الصحافة والإعلام*. (ط1، المحرر) عمّان، الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
15. زكي نجيب محمود. (2019). *جنة العبيط*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، سي آي سي.
16. سناء أمين. (2 أبريل, 2020). *أحمد حسن الزيات... دفاعًا عن الثقافة العربيّة* . تم الاسترداد من مجلة العربي الجديد: https://www.alaraby.co.uk
17. صالح أبو إصبع. (2008). *فنون الكتابة الإعلاميّة: فنّ المقالة: أصول نظريّة-تطبيقات- نماذج*. عمّان، الأردن: مجدلاوي للنشر والتوزيع.
18. طه حسين. (12 1, 1940). الثقافة العربيّة والحرب1 . *الهلال* ، 8.
19. طه حسين. (1930). ثقافة. *المجلة الجديدة* (العدد 4)، 756.
20. طه حسين. (1957). ثقافة. *المجلة* (العدد7)، 4.
21. طه حسين. (1978). *من لغو الصيف إلى جدّ الشتاء*. (ط5، المحرر) بيروت: دار العلم للملايين.

22. عبد الحق بلعيد. (2008). *عتبات جيرار جينيت من النصّ إلى المناص*. (ط1، المحرر، و سعيد يقطين، المترجمون) الجزائر: الدار العربيّة للعلوم ناشرون.

23. عبد الستار جواد. (1996). *فنّ كتابة الخبر*. عمّان، الأردن: مجدلاوي.

24. عبد العزيز شرف. (2000). *فنّ المقال الصحفيّ*. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

25. عبد الله السناوي. (29 11, 2021). *عودة إلى طه حسين... إلى ضرورة المشروع الثقافي*. تم الاسترداد من مقالة إلكترونيّة بموقع 180: https://180post.com/archives/23616

26. عبد الهادي بن ظافر الشهريّ. (2004). *استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغويّة تداوليّة*. (ط1، المحرر) بنغازي، ليبيا: دار الكتاب الجديد.

27. عمران الهاشمي المجدوب. (ربيع 2015). مفهوم العنوان الصحفيّ وأهميّته ووظيفته في الصحافة. *الأستاذ* (العدد8)، ص 185.

28. فتحي خليل. (1982). *العنوان الصحفيّ*. (الاتّحاد العامّ للصحفيين العرب، المحرر) بيروت، لبنان : مؤسسة بترا للطباعة والنشر، السلسلة المهنيّة.

29. لمعي المطيعي. (1997). *موسوعة هذا الرجل من مصر*. (ط1، المحرر) القاهرة: دار الشروق.

30. مُحَمَّد بنيس. (2001). *الشعر العربي المعاصر بنياته ودلالته* (المجلد ج2). دار البيضاء: دار تبقال للنشر.

31. مُحَمَّد عبد الله المطر، و إبراهيم مُحَمَّد خالد برقان. (21 03, 2020). موقف أحمد أمين من علم الكلام: دراسة نقديّة. *مجلة الجامعة للدراسات الإسلاميّة* ، 486.

32. مُحَمَّد عبد الله حسن سلام. (2015). فنّ المقال بين الأصالة والتطوّر: رؤية نقديّة. *مجلة الدراية ، 2* (العدد 15)، 87.

33. قائمة المراجع الأجنبية:

34. Idelson, B. (2017). méthologie d'analyse d'un corpus de press le cas du quotidien de la réunion (1976-1979). *hal*, p p 24-26.

35. Mainguneau, D. (2004). *Linguistique pour le texte littéraire.* (e. 4, Éd.) Paris: Nathan.